الفصل الأول

السلوك السياسى
والتناول السيكلوجى

أولا : السياسة وعلم النفس السياسى .

ثانيا : السلوك السياسى والمعطيات النفسية .

أولا : السياسة وعلم النفس السياسى :

هناك جذور مشتركة بين علم السياسة وبين علم النفس ، فكلاهما يرجع فى تاريخه إلى أفلاطون وأرسطو ، وكلاهما له جذوره فى الفلسفة ، والأخلاق ، وعلم اللاهوت ، وكلاهما لم يكن له وجوده فى الجامعات كعلم له استقلاله قبل القرن التاسع عشر ، لكن رغم هذه الأصول المتشابهة ، إلا أن هناك الفروق ذات الدلالة بينهما .

فأقسام العلم السياسى لها أصولها فى أقسام التاريخ . أما علم النفس فله أصوله فى العلم الطبيعى ، وعلم النفس قد أرست دعائمه فى القرن التاسع عشر ، بينما نما العلم السياسى نموا بطيئا أثناء القرن العشرين .

غير أن اهتمام العلم السياسى بما يطلق عليه الآن بالعلوم السلوكية يرجع إلى ١٩٢٠ ، فى جامعة شيكاغو قسم العلوم السياسية حيث دعا تشارلس ميريام[1] بوضوح إلى علم سياسى يقوم على الاستعانة بالعلوم الأخرى ومنها علم النفس (Greenstein , Fred I . 1973 , P . 440) إلا أن التراث يعتبر هارولد لاسويل H . Lasswell تلميذ ميريام وزميله ، الأب المؤسس لعلم النفس السياسى باعتباره علما أكاديميا ، إذ كان أول من اقتحم بجرأة وجسارة هذا المجال وشجع غيره من الباحثين على خوضه وعبر عن هذا الارتباط بين علم السياسة وعلم النفس فى كتابيه عن (السياسة والأمراض النفسية ١٩٣٠) ثم ، عن (القوة والشخصية) عام ١٩٤٨ ، فضلا عن هذا ، ففى الوقت الذى يشهد سطوة السلوكية وعلم نفس السلوك يكتب لاسويل وكابلان Kaplan عن الاستعدادات والحاجات ويضعان تصنيفا لمجموعة القيم لتفسير السلوك السياسى فى فئتين :

---

(١) تذكر دائرة المعارف البريطانية أن اسم ميريام قد ارتبط بما عرف بمدرسة شيكاغو وقد نشر ميريام كتابه (جوانب جديدة فى السياسة) عام ١٩٢٥ الذى شجع على الاستخدام الأكثر اتساعا للإحصاء فى مساعدة الملاحظات الميدانية والقياس ، ولقد كان تركيز ميريام فى هذه المرحلة على الاتجاهات من ثم كان اعتماده على معطيات علم النفس للوصول إلى فهم أفضل للسياسة والسلوك السياسى ، وهذه الأفكار لم تكن جديدة تماما فى هذا الميدان حيث سبقه إليها العالم الإنجليزى جراهام والاس عام ١٩٠٨ حيث ذكر فى كتابه عن (الطبيعة الإنسانية فى السياسة) أنه لابد وأن يكون هناك علما سياسيا آخر يقوم على الطرق الكيفية ، ويختص بالجوانب النفسية فى النشاط السياسى متضمنا تأثير الجوانب اللاشعورية وتدخلها فى السلوك السياسى .

١ – الفئة الأولى وتضم حاجات الرفاهية كالصحة والثروة والتنوير .

٢ – الفئة الثانية وتضم حاجات الاختلاف كالقوة ، والاحترام والانتماء واستقامة الرأى .

وقد كان تحليل الرموز واستخداماتها لدى الصفوة السياسية أحد الاهتمامات المبكرة لها رولد لاسويل فنجاح الدعاية للصفوة السياسية ذات القوة يعتمد على استغلال العدوان ومشاعر الذنب والضعف ، والحاجة إلى الانتماء .

أما نجاح الدعاية المتولدة من الصفوة المعارضة فيعتمد على انتزاع الانتماء من الجماهير باستخدام الرموز التى تستخدمها السلطة كى تؤدى إلى كراهية الرموز المستخدمة من قبل السلطة .

ولقد مضى وقت غير قصير حتى نشرت الدراسات فى مجال السلوك السياسى التى استعانت بالعلوم الأخرى كعلم النفس وعلم القانون ، فكانت مع أواخر الأربعينات ، وتزايدت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية وفى الخمسينات، واتخذت الأبحاث فى مجال علم النفس السياسى محاور ثلاثة نوضحها فيما يلى :

١ - المحور الأول : ويعنى بدراسة سلوك التصويت فى الانتخابات ، والمشاركة السياسية فى المجتمعات ذات النظم الديمقراطية المستقرة .

٢ - المحور الثانى : ويعنى بدراسات مقارنة عبر حضارية فى المجتمعات ذات الحكومات المستقرة نسبيا .

٣ - المحور الثالث : ويعنى بالبحث عن أصول السلوك السياسى الذى نشأ منذ الطفولة (التنشئة السياسية) .

ولقد حظى الاتجاه الأول بالعدد الأكبر من الدراسات الميدانية :

(أ) ويمثله مجموعة دراسات الاتجاهات والآراء التى خرجت من جامعة ميتشجن – مركز الأبحاث التابع لجامعة ميتشجن – فى الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٦ . (Davis, 1973, P. 27) .

(ب) كما تعد دراسة ميلبرات Milbrath الرائدة عن المشاركة السياسية من نماذج دراسات الاتجاه الأول كذلك .

(جـ) تلتها دراسة روبرت لين ١٩٥٩ R.laine التى لم تضارع دراسة ميلبرات فى أهميتها فقط بل تجاوزتها كذلك إلى تقديم مجموعة من الحاجات الإنسانية (العاطفية

– الفهم – التخفف من التوتر ، القوة واحترام الذات) التى لها علاقتها بالسلوك السياسى للفرد ، وهو الأمر الذى عجزت عنه دراسة ميلبرات السابقة ، كما استطاع روبرت لين عام ١٩٦٢ أن يتوصل إلى تحليل سيكلوجى لأصول المعتقدات والقيم السياسية من خلال دراسته لعينة من أفراد الطبقة المتوسطة الدنيا فى المجتمع ، وكان من أهم نتائج هذه الدراسة ما يختص بعلاقة الاتجاهات المعارضة للسلطة بفشل الفرد فى مجتمعه ، وشعوره بالعجز وانعدام القوة فى ضوء نظام مستبد يخافه كما يخاف تغييره .

(د) ثم كانت نتائج دراسات الموند Almond وفيربا Verba عام ١٩٦٣ عن ارتباط المشاركة السياسية بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة ، وبالانتماء إلى جماعات ذات صبغة دينية أو سياسية وذلك على خمس دول هى بريطانيا ، ألمانيا ، إيطاليا ، المكسيك ثم أمريكا (Davis, J. 1973. P. 22) .

وكما شهدت أواخر الخمسينات تقدما ملحوظا فى الدراسات الميدانية فى مجال علم النفسى السياسى ، شهدت كذلك تطورات على المستوى التنظيرى فكانت كتابات فرويد وأريك أريكسون ، وجان جاك روسو عن بحث أصول نشأة الميول السياسية ونموها عند الفرد منذ الميلاد وأثناء مسيرة حياته ، ودور الرعاية الأسرية للطفل فى النمو السياسى ثم النضج السياسى كمواطن ، كما كانت دراسات هربرت هايمان H. Hyman 1959 عن التنشئة السياسية من الدراسات الرائدة التى حاول من خلالها التعرف على تأثير جماعة الأسرة والأقران فى مرحلة المراهقة فى تكوين الميول السياسية ، ثم اتسع مجال الدراسات فى التنشئة السياسية فكانت دراسة فريد جرينشتين F.H. Greenstein عن تصور الأطفال عن السلطة السياسية عام ١٩٦٠ ، تبعتها دراسة دافيد إيستون D. Easton وروبرت هيس R. Hess عام ١٩٦٥ فى جامعة شيكاغو .

وهكذا مع بداية الستينات ، سجل هذا العلم امتدادات أفقية من حيث اهتمامه وتجاوزه موضوعات المحور الأول إلى تغطية المحاور الثلاث التى تمثل مجال علم النفس السياسى ، فضلا عن هذا ، فقد سجلت هذه الفترة أيضا تطورا فى الدراسات الرأسية لموضوعات بعينها ، وهو الأمر الذى يكشف بدوره عن محاولات جدية للتعمق فى التحليل ومن ثم التفسير ، اقتضت من دارس السياسة الاستعانة بعلوم أخرى ، كعلم الاجتماع ،الأنثروبولوجيا وعلم النفس .

لكننا نعود فنتساءل : ما الذى دعا علماء السياسة والباحثين فى ظواهرها إلى الاستعانة بهذه العلوم ؟ يذكر لنا ديرنزوا Direnzo أن الاهتمام بالمعطيات النفسية لتفسير السلوك

السياسى قد استمد وجوده من صعوبة تحليل السلوك السياسى وفهمه فهما شاملا بمنأى عن التناول السيكلوجى ، ومن ثم كانت البدايات التى أشرنا إليها على يد كل من ميريام ولاسويل . (Direnzo , G . 1974 . P.11) وقد أكد على الدين هلال على المعنى ذاته حين أشار إلى أن علماء السياسة وجدوا أنفسهم فى حالة عجز عن تفسير بعض الظواهر السياسية إذا ما عمدوا إلى العوامل الاجتماعية وحدها ، ولقد ضرب مثلا بما يحدث فى دول شرق أوربا وفى الاتحاد السوفيتى من انهيار لنظم سياسية دامت عشرات السنوات ورسخت جذورها فى نفوس مواطنيها ، فإذا بهم بعد هذه الفترة غير القصيرة ينشدون نظما مغايرة كيفيا لما نشاوا عليه ، ومن غير شك – كما يقول – إن تناول هذه الظواهر بالتحليل والدراسة بعيدا عن الإنسان بأبعاده الاجتماعية لن يعود بغير القصور فى تناول الظاهرة (على الدين هلال – ١٩٩٠ ، ١٩٩٢) ، هذا من ناحية حاجة الظاهرة السياسية للمعطيات النفسية لتفسيرها ، أما من الناحية الأخرى فقد أضافت التغيرات الاجتماعية والاقتصادية فى مجتمعات أوربا ظواهر جديدة فى مجال علم النفس السياسى ، فقد اهتم ماكس هارخيمر Harkheimer عام ١٩٣١ من خلال عمله كمدير لمعهد البحوث الاجتماعية فى جامعة فرانكفورت بدراسة العلاقة بين الحياة الاقتصادية والنمو النفسى للفرد وارتباط هذا بالبيئة الثقافية للأفراد ، ثم تبعه فى ذلك أدورنو Adorno واريك فروم Fromm وماركيوس Marcuse وغيرهم فى اقتفاء أثر العلاقة بين المنحى الاقتصادى والسياسى لنظرية ماركس وبين المنحنى النفسى كما تصوره نظرية سيجموند فرويد ، (ناهد رمزى ، ١٩٩١ ، ص ٦٥ نقلا عن . Deutch , Morton , 1983 . P . 222) ولعل فى هذين المثالين مما يكشف عن العلاقة الحوارية التى تجمع ما بين الظاهرة السياسية وبين الأبعاد النفسية للفرد ، مما يجعل لهذه العلاقة خصوصية تتجاوز طبيعة العلاقة بين الظواهر السياسية وبين تخصصات أخرى كعلم الاقتصاد مثلا ، أو الاجتماع السياسى أو الأنثروبولوجيا .

ولعل أكثر المجالات تمثيلا لهذا التفاعل بين السياسة وعلم النفس هو مجال السلوك السياسى وهو ما سيتم مناقشته تفصيلا فيما يلى .

ثانيا : السلوك السياسى والمعطيات النفسية :

ظلت المعطيات النفسية بمنأى عن الاهتمام بها أو دراستها كأحد الأبعاد الهامة فى تفسير السلوك السياسى ممثلا فى التصويت Voting أو الانتماء حزبى ، أو ممارسة للعمل السياسى ، أو اللامبالاة ، والاغتراب السياسى رغم أن التصورات التى وضعها المهتمون بدراسة السياسة ، كانت تشير بوضوح إلى ذلك البعد الخاص بالشخص أو بالشخصية باعتباره مصدرًا هامًا لابد وأن يفسر فى ضوئه النشاط السياسى للفرد .

ولا شك أن تعريف السلوك السياسى فى ذاته ، ليجعل من الرجوع إلى البعد النفسى لدى الفرد ضرورة واجبة الدراسة حتى يمكننا التفسير الأكثر صحة ووضوحا ، إذ يعرف السلوك السياسى بأنه «أى فعل أو اختيار أو تفاعل بين الأشخاص أو بين الجماعات له مضمون سياسى» (ناهد رمزى ، ١٩٩١ ، ص ٦٨) كما يعرفه أبكاريان وماسانيت بأنه «وظيفة أو نتاج لارتباط الفرد بالجماعة» (Abcarian, G. & Masannet, G. 1970, P. 95) ومن ثم فمضمون التعريف ، بانطوائه على مصطلحات كالتفاعل ، والاختيار ، والارتباط ... الخ هى مفاهيم ذات دلالة نفسية ، وبين شخصية Interpersonal تقضى بدورها طرح البعد الشخصى من الأبعاد الهامة فى تشكيل السلوك السياسى وتحديده .

ولقد عبر سميث Smith عن هذا بوضوح حين وضع تصوره عن السلوك السياسى والأبعاد والعلاقات التى تمثل مصادر لهذا السلوك فى رسمه التخطيطى التالى :

الشكل رقم (١) يعبر عن تصور سميث لأبعاد السلوك السياسى

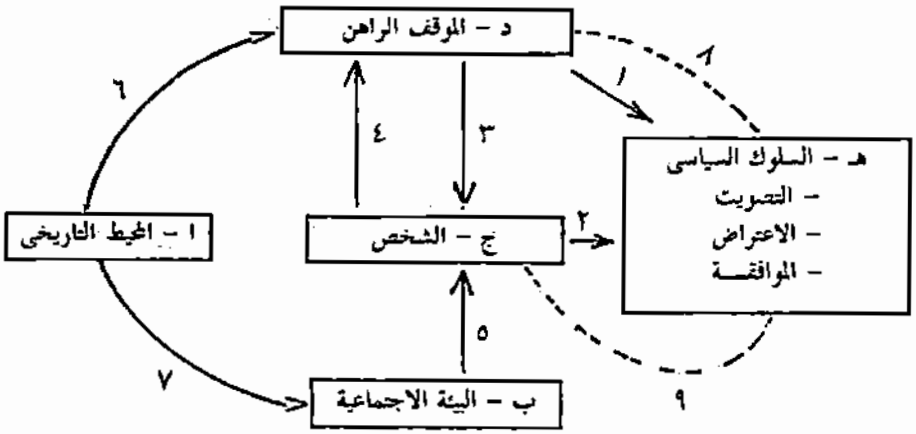

ناهد رمزى ، ١٩٩٠ ، ص ٦٨ نقلا عن Springer Verlag, 1988. P. 35

وكما يوضح سميث ، أن الشكل يحتوى على مجموعة من الهياكل Constructs ومجموعة من العلاقات Relations فالهياكل تمثل المصادر النفسية للسلوك السياسى ، ولا تعتبر هى الأسباب المحددة للفعل السياسى ، وإنما هى معطيات تفسره وكما يشير لنا الرسم أن الأبنية أو الهياكل أ ، ب ، جـ ، د ، إنما تصب جميعها عند السلوك السياسى بأنشطته المتعددة (تصويت ، اعتراض ، موافقة) وهذا يعنى ارتباطه بها بعلاقات التفاعل والحوار الدائم ، فليست العلاقة ذات اتجاه واحد من الهياكل إلى السلوك ، بل هى مستمرة فى الاتجاهين .

وإذا كان سميث قد خص البعد النفسى فى تصوره عن السلوك السياسى ومصادر تشكيله ، فإن جلبرت ابكاريان G . Abcarian وجورج ماسانيت G . Masannet فى تصورهما للمصادر المؤثرة فى السلوك السياسى والمتأثرة به ، يفردان للبعد الشخصى ما يميزه كأحد المصادر الهامة لتكوين هذا السلوك ومن ثم تفسيره فى ضوئها ، وهما فى ذلك قد أفادا من الدراسات السابقة فى هذا المجال خاصة دراسات هارولد لاسويل عن الحاجة إلى القوة لدى المشتغلين بالسياسة .

وفضلا عن البعد الشخصى أو العوامل الشخصية كما يذكرانها ، فهما قد أضافا إليه مصادر ثلاثة أخرى ، لابد من اعتبارها عند تفسير السلوك السياسى ، فهما يحددان مصادر السلوك السياسى على النحو التالى :

١ - الجماعات .
٢ - المؤثرات الاجتماعية .
٣ - عوامل شخصية .
٤ - الحركات السياسية .

إذ يرى المنظرون للجماعات أن السلوك السياسى للفرد هو وظيفة أو نتاج لارتباطه بالجماعة ، فسلوك الانتخاب مثلا يتأثر كثيرا بعوامل كالعضوية فى جماعات والنشاط فى الاتحادات ، وارتباطات العمل والأشكال الأخرى المنظمة وغير المنظمة من العلاقات بين الأفراد .

ولا غرو أن يكون للجماعة هذا التأثير ، فهى التى تمد الفرد بنموذج للشعور بالأمن ، والإشباع والتدعيم وهى أمور هامة فى حياته . أما المؤثرات الاجتماعية فيخصون منها المؤثرات ذات البعد الرأسى Vertical وهو الخاص بالطبقة الاجتماعية

والمكانة ، فهناك من يرى علاقة قوية بين الطبقة الاجتماعية الاقتصادية العليا وبين النشاط السياسى ، كما يرتبط غياب الآراء السياسية وفقر المعلومات وعدم التصويت بشدة بالمستوى الأدنى من الطبقة الاجتماعية الاقتصادية ، وتبرير ذلك أن السلوك السياسى انما يتطلب مهارات كحسن استغلال المواقف الاجتماعية ، وإقامة العلاقات مع الآخرين وحسن التصرف ، وكلها مهارات نتاج للتعليم وخبرات الجماعة تختص بها الطبقة العليا .

أما العامل الثالث المتمثل فى العوامل الشخصية فقد قصد به ابكاريان وماسانيت ما يلى :

١ - الحاجات الملحة للفرد التى لها الأولوية على السلوك السياسى .

٢ - الرغبة فى القوة أو الحاجة إلى القوة كما يعبر عنها هارولد لاسويل – وسنعرض لها فيما بعد بالتفصيل .

٣ - الشخصية الديمقراطية كتوجه هام نحو السياسة .

٤ - بناء الاتجاهات لدى الفرد .

وعن رابع هذه المصادر المتمثل فى الحركات السياسية ، فإنها تتضمن التغير فى الثقافة السياسية ، والقيم .

فحركات القيادات المسيحية فى جنوب أمريكا يعد من الحركات السياسية ، وحركات القيادات الطلابية أيضا من الحركات السياسية .

ولكن ، وعلى الرغم من الضرورة التى تفرضها مضمون التعريفات للسلوك السياسى على النحو الذى أوضحناه ، أو التى كشفت عنها بوضوح تصورات العلماء والمهتمين بمجال السلوك السياسى للأفراد فى المجتمعات المختلفة إلا أن واقع الدراسات الميدانية ليشير بوضوح إلى تأخر اعتبار البعد الشخصى أو العوامل الشخصية فى دراسة السلوك السياسى ، هذا على النقيض مما حظيت به العوامل الاجتماعية من اهتمام كبير من قبل المتخصصين ، كدراسات إميل دوركايم Durkheim وماكس فيبر Max Weber عام ١٩٤٧ ، حيث اتخذت من النظام الذى يعيش فى كنفه الفرد ، ومن العوامل الاجتماعية المحيطة به محورا ترتكز عليه فى تفسير السلوك السياسى ، ومن ثم ، كانت

مفاهيم كالامتثال Conformity واللافردية Impersonal والحقائق الاجتماعية Social Facts محل اعتبار فى تفسير فيبر للسلوك البيروقراطى ، بينما كانت الدافعية Motivation والانفعالات من معوقات تحقيق المفاهيم السابقة .

ولكن هل كانت هذه الرؤية ذات البعد الاجتماعى كافيه لفهم السلوك السياسى وتفسيره ؟ .

والتراث يجيب على هذا بالنفى ، إذ أن لين Laine يرى عجز هذه الرؤية – وحدها – عن تقديم التفسير العلى للسلوك السياسى ، فضلا عما تسم به الفرد من سلبية فى مواجهة القوى الخارجية المتمثلة فى البيئة الاجتماعية التى يسلم لها التحليل الاجتماعى السياسى بالتأثير الأكبر والأقوى على السلوك السياسى .

ولكن نعود فنؤكد على أنه رغم قصور هذا التصور فى تفسير السلوك السياسى تفسيرًا علميًا شاملا يسمح بإمكانية تحقيق أهداف المنهج العلمى من تنبؤ ثم ضبط وتحكم له ، إلا أن فضله يكمن فى استثارة الاهتمام بالبعد الشخصى – المعطيات النفسية – كمدخل آخر قد يؤدى – إلى جانب المدخل الاجتماعى – إلى رؤية الأمور بصورة أكثر إقناعا وأقل غموضا عما كانت .

وباستطلاع محاولات العلماء فى الربط بين الشخصية وبين السلوك السياسى ، يمكننا أن نميز بين اتجاهين واضحين انقسمت بينهما هذه المحاولات وهما :

١ – اتجاه البعد الواحد Unidimensional Approach

ونعنى به محاولة تفسير السلوك السياسى من منظور محدد للغاية ، قد يكون حاجة نفسية غير مشبعة ، أوسمة شخصية سائدة لمن يمارسون السلوك السياسى ، ومن ثم فالعلاقة لدى أنصار هذا الاتجاه تسير فى الاتجاه بين هذه الحاجة أو السمة وبين السلوك السياسى دون أن يتسع المنظور لغير هذه السمة أو الحاجة .

والدراسات فى هذا المجال عديدة كدراسات ، ديرنزوا ، وهارولد لاسويل ، وأدورنو ، روكيتش ، Rokeach وأيزنك Eyesenck ثم دراسات كارمنز Carmines ونخص بالتفصيل منها فى هذه الدراسة ، آراء لاسويل ، وديرنزوا .

٢ – الاتجاه متعدد الأبعاد Multidimensional Approach

وهو الذى يعلق فاعلية العوامل الشخصية فى تشكيل السلوك السياسى للفرد على تفاعلها مع معطيات البيئة والموقف بل والمجتمع عامة . فكأنه بذلك يرسى دعائم علاقة شبكية بين السلوك السياسى وبين العوامل المرتبطة به مؤثرة فيه ومتأثرة به ، ومن الذين يمثلون هذا الاتجاه بوضوح آراء كل من كنستون ، وألموند Almond وباربر Barber وسنعرض فيما يلى لبعض الآراء الممثلة لكل من الاتجاهين بقدر من التفصيل على النحو التالى :

اتجاه البعد الواحد :

وتعتبر آراء هارولد لاسويل Harold Lasswell من أكثر الآراء تعبيرا عن هذا الاتجاه ، ورغم المكانة التى تحتلها دراساته فى مجال علم النفس السياسى حتى أن البعض يعدها البدايات الحقيقية للمزاوجة بين اهتمامات العلوم السياسية وبين علم النفس – إلا أن نظريته فى السلوك السياسى قد اعتمدت على تحديد حاجة إنسانية بعينها تفسر نقطة انطلاق لحدوث هذا السلوك ... إذ قد مثلت الحاجة إلى القوة ، والبحث عنها لتعويض الحرمان محور اهتمامه فى دراساته عن شخصية السياسى ، فلقد ربط لاسويل بين تقدير الذات المنخفض وبين البحث عن القوة – كما تتمثل فى الاشتغال بالسياسة بحثا عن السلطة – ومعنى ذلك أن الفرد تعويضا عن تقديره المنخفض لذاته ، يطور حاجة قوية نحو القوة ، متمثلة فى السلطة ، ليقهر بها تقديره المنخفض لذاته ، غير أن لاسويل يعلق إمكانية نجاح عملية التعويض هذه على عاملين أساسيين هما :

١ – أن تكون درجة الحرمان غير ساحقة ، إذ أن وصول الحرمان إلى درجة تفوق احتمال الفرد ، قد تؤدى بالفرد إلى الانسحاب تماما من مجال التنافس أو الصراع ، بل قد يصل الأمر إلى معاقبة الذات بالانتحار .

٢ – أن يكون التعويض باستخدام القوة خاضعا لقيم مقبولة اجتماعيا . (Lasswell , H . 1974 . P . 42 .)

واعتبار لاسويل لقدر متوسط من الحرمان – أو من انخفاض تقدير الذات – يعلق عليه الفاعلية فى نجاح عملية التعويض بالبحث عن القوة إنما يعكس وعيا متوازنا منه بالطبيعة الإنسانية ، إذ أن لاسويل هنا يتحدث عما يمكن أن نطلق عليه بالحرمان السوى ، على غرار ما يوجد لدينا فى تراث علم النفس من القلق السوى، هذا فضلا عما أثبتته الدراسات فى علم النفس من تعليق فاعلية الخصائص النفسية على نحو إيجابى ومقبول اجتماعيا على المستوى الذى تمثل به هذه الخاصية لدى الفرد[1] .

وحقيقة ما يراه لاسويل[2] من ارتباط هذه الحاجة الإنسانية بتحديد السلوك السياسى ، قد خلص إليه من دراساته على عدد من الشخصيات للوصول إلى العوامل المرتبطة بالبحث عن القوة ، والقيم المختلفة التى تحقق لها الوجود لدى هذه الشخصيات .

وفى تعليق جورج George . A على البحث عن القوة كقيمة تعويضية للقيادات السياسية يذكر لنا أن نتائج دراسات لاسويل قد اتسقت إلى حد كبير وتحديدات إريك إريكسون E . Erikson [3] للأصول الدينامية للشخصية ، فلقد وجد اريكسون ملامح هامة فى طفولة الشخصيات التى درسها ومراهقتهم تقترب كثيرا مما وصل

---

(١) أثبتت الدراسات النفسية (أمينة كاظم ، ١٩٧٣) عن القلق فى علاقته بالتحصيل الدراسى أن تحقيق المستوى الأفضل من التحصيل قد ارتبط بالدرجة المتوسطة على مقياس القلق ، هذا بينما ارتبط انخفاض التحصيل الدراسى بالدرجة المرتفعة على القلق أو المنخفضة عليه .

فضلا عن هذا ، فإن دراسة سلوى الملا عن التوتر والإبداع١٩٧٣ ، قد كشفت عن نتيجة مماثلة كذلك حيث ارتبطت الدرجة المتوسطة على التوتر النفسى ، بالدرجة الأعلى على الإبداع (سلوى الملا ، ١٩٧٣) .

كما كشفت الدراسة على العدوانية فى علاقتها باستجابة الضحك عن ارتباط الدرجة المتوسطة من العدوانية بحدوث الضحك، بينما ارتبطت الدرجة المنخفضة على العدوانية، والدرجة المرتفعة عليها بضعف حدوث استجابة الضحك، (عزيزة السيد، ١٩٩٠) (٢).

(٢) هارولد لاسويل من علماء السياسة الأمريكان المؤثرين ، عرف بدراساته عن علاقات القوة والسياسة والشخصية فى مجال دراسة السلوك السياسى ، حصل على الدكتوراه عام ١٩٢٦ من جامعة شيكاغو عمل محاضرا فى جامعة يل yale ومحاضرا زائرا فى مدرسة القانون ، ثم عمل أستاذا للقانون ، تابعا لمؤسسة فورد فى برامفورد ثم فى واشنطن . وكان موجها للبحوث عن علاقات الحرب فى مكتبة الكونجرس الأمريكية ، ثم أستاذا للقانون أيضا فى كلية جـــون جـــاى فى نيويورك . ومستشار لعـــدد غير محدود من أعضـــاء الحكومة الأمريكية . (The New Encyclopaedia Britanica , 1985 , V-7 .P 175)

(٣) من هذه الشخصيات التى درسها أريكسون نذكر :

غاندى – مارتن لوثر – كير كجادرد – وودرو ويلسون – النيور روزفلت .

إليه لاسويل ، فكان التقدير المنخفض للذات ، والوعى القوى والإحساس بالمسئولية تجاه الإنسانية جمعاء[1] من الخصائص النفسية التى ميزت بعض هذه الشخصيات .

وكما اعتبر هارولد لاسويل (الحاجة إلى القوة) دافعا إلى الاهتمام بالأمور السياسية ، والمشاركة فى مجال السياسية والأعمال السياسية كتعويض للشعور بهذه الحاجة ، فإن كارمنز (Carmines , E . 1980 , P .121) يشير لنا فى مقاله إلى أن الحاجة إلى الشعور بالأمن والأمان ، وهو المستوى الثانى من تصنيف ابراهام ماسلو للحاجات الإنسانية ، هو أيضا يعد دافعا إلى الاهتمام والمشاركة فى المجال السياسى والأعمال السياسية . ويقيم نظرته هذه على نتائج مجموعة من الأبحاث التى حاولت المقارنة بين نظريتين لتفسير السلوك السياسى ، أولاهما وهى نظرية الكفاءة Competence theory والتى تنطلق من أن أصحاب الدرجة الأعلى من الضبط الذاتى هم الذين يهتمون بالمشاركة السياسية كتأكيد للذات وشعور بأهمية وجودهم فى المجتمع وتأثيرهم على مجرى الأحداث فيه ، الأمر الذى يجعل من مشاركتهم السياسية ضرورة واجبة من وجهة نظرهم . أما ثانيتهما فهى نظرية الحاجة Need theory التى تنطلق من أن الشعور بالحاجة إلى الأمن والأمان يمثل دافعا لأن يسيطر الإنسان على الجوانب الحياتية المحيطة به ، ولكى يحقق الإنسان هذه السيطرة وهذا الضبط لجنبات الحياة المحيطة به ، فمن الضرورى أن ينغمس فى ممارسة الأعمال السياسية ومن ثم ، فحسب هذه المقولة ، فإن ارتفاع درجة الحاجة إلى الأمن لدى الأفراد لابد وأن ترتبط بالدرجة الأعلى على الاهتمام والمشاركة فى الحياة السياسية ، بينما ترتبط الدرجة الأقل على الحاجة إلى الأمن لدى الأفراد بالدرجة الأقل على الاهتمام بالحياة السياسية والمشاركة فيها . غير أنه من الجدير بالذكر أن نتائج الأبحاث فى هذا الصدد قد كشفت عما يدعم النظريتين معا (الكفاءة – والحاجة) فى تفسير السلوك السياسى للأفراد ، وهو ما سنعرض له بشىء من التفصيل فى الفصل الثانى عند الحديث عن المشاركة السياسية والشخصية .

أما عن جوردون ديرنزوا Direnzo ثانى من ينتمون إلى اتجاه البعد الواحد ، فعلى الرغم من تأكيده فى كتاباته على أهمية النظرة الشمولية فى تفسير السلوك السياسى ، وعدم إغفاله لأهمية العوامل الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية فى فهم هذا السلوك

---

(١) سمة الإحساس بالمسئولية تجاه الإنسانية جمعاء هو ماعبر عنه ماسلو بخاصية التمركز على المشكلات التى تميز المحققين لذواتهم ، وماعبرت عنه زيبورا ماجن فى بحثها بمستوى الالتزام بما وراء الذات (Magen , Z.1983).

(Direnzo, G. 1974. P. 19) إلا أنه لم يختلف كثيرا عن هارولد لاسويل ، فقد جاءت دعوة ديرنزورا إلى الاهتمام بالمجال الحيوى للفرد فى تفسير السلوك السياسى – وتأثره بنظرية كيرت ليفين – تتاجا للعديد من الأبحاث على مدى خمس وعشرين عاما ، تأثرت فى معظمها بمقولات نظريات التحليل النفسى فى النزعة التسلطية Authoritarianism

وخاصة المحاولات البحثية التنظيمية التى قام بها مجموعة الباحثين أريك فروم ١٩٣٦[1] ، ووهلم ريك W. Rick 1946 ثم دراسات أدورنو ١٩٥٠ بالتعاون مع فريق البحث فى جامعة كاليفورنيا ، التى تعد من أولى الدراسات التى أضافت وضوحا ملموسا من حيث انتماء الأيديولوجيات السياسية والقيم والاتجاهات إلى الشخصية الإنسانية سواء من حيث البناء أو الديناميات وفى هذا الصدد أيضا ، كانت دراسة ملتون روكيتش Melton Rokeach عام ١٩٦٠ ، التى أسفرت عن نتائج تختص بالنموذج المعرفى لدى الفرد مما كان له فائدته فى فهم تكوين الاتجاهات .

غير أن استفادته من مجهودات هؤلاء الباحثين ونتائج دراساتهم لم تنعكس بوضوح حين تقديمه لتصوره عن تفسير السلوك السياسى ، فيقع بدوره فى خطأ التفسير أحادى الاتجاه فقد اختص من العوامل الشخصية المؤثرة على السلوك السياسى الاتجاه نحو السياسة بين اللامبالاة التامة ، وبين الإيجابية ، باعتباره مسئولا عن وجود المشاركة السياسية للفرد أو عدم وجودها غير أنه يعود فيتدارك أمر المجتمع ، ونوعية النظام السياسى فى تأثيرة على تكوين الاتجاه سلبا أم إيجابا – نحو السياسة فيحدثنا عن درجة التسلط فى المؤسسات السياسية وعلاقتها بدعم الاتجاه فكلما زادت درجة التسلط وتحددت الأدوار الواقعية والمتوقعة للفرد فى المواقف المختلفة ، كلما حد ذلك من اتجاه الفرد نحو السياسة وجعل وجوده واهنا .

وعلى الرغم مما تلمح إليه مقولات ديرنزوا من إدراكه للعلاقة بين العوامل الشخصية للفرد ، وبين العوامل الاجتماعية المتمثلة فى نوعية النظم السياسية الحاكمة ، إلا أنها فى تصوره تسير من المجتمع إلى الفرد فى موقف المتلقى لتأثير هذه العوامل الاجتماعية ،

---

(١) وذلك فى كتابه الهروب من الحرية عام ١٩٤١ الذى حدد فيه الشخصية المتسلطة بالرجوع إلى حركة النازى السياسية ، ولقد كان هذا الكتاب من أفضل مصادر الإثارة للأبحاث الميدانية التى كونت نتائجها قوام نظرية مبدئية عن الاتجاه نحو التسلطية فى مجال التحليل السياسى .

دون إشارة إلى فاعلية الفرد ودوره فى عملية التفاعل مع والتأثير على هذه العوامل المجتمعية ، ولهذا ، وعلى الرغم من فطنة ديرنزو إلى أهمية العوامل الشخصية والاجتماعية فى تفسير السلوك السياسى للفرد ، إلا أن عدم وضوح العلاقة الحوارية والتفاعلية بينهما قد أدت بنا إلى وضع جهوده ضمن إطار اتجاه البعد الواحد .

٢ – الاتجاه متعدد الأبعاد :

وتمثل آراء كنستون Knuston فى المقدمة من حيث تعبيرها عن هذا الاتجاه فى تفسير السلوك السياسى . إذ ينطلق كنستون من حديثه عن الشخصية بوجه عام كأحد الأبعاد الهامة فى تشكيل السلوك السياسى وصياغته ، إلى تحديد مواقف بعينها لها علاقتها الوثيقة بأبعاد الشخصية لدى الفرد وهى :

١ - اختيار الأدوار القيادية فى العملية السياسية .

٢ - تفسير الأشكال المنحرفة من النشاط السياسى .

٣ - فشل التعلم السياسى حيث تعمل القيم السلوكية على إعاقة تكوين المناخ النفسى الضرورى لتحقيق النتائج المطلوبة (Knuston, Jeanne, N. 1973, P . 44 .) .

ويعلق كنستون حدوث التفاعل بين الشخصية وبين السلوك السياسى على ما أطلق عليه المحددات الموقفية Situational constraints وهو يعنى بهذه المحددات توقعات الفرد وإدراكه للأنشطة المختلفة التى يتخيرها لإشباع دوافعه ، ويستتبع هذا بدوره أنه قد يتفق فردان فى الدافع الواحد ، ولكنهما قد يختلفان فى اختيار المجال المناسب لكل منهما لإشباع هذا الدافع ويستشهد كنستون فى هذا الصدد بنتائج دراسة قام بها جاكوب وبرونتج عام١٩٦٤ سنذكرها تفصيلا عند حديثنا عن المشاركة السياسية .

ولعل كنستون كان موفقا حين قدم لنا أنموذجه التصورى الذى يوضح رؤيته للسلوك السياسى فى علاقاته المتفاعلة مع الأبعاد الأخرى .

وفى هذا الأنموذج يعرض لناكنستون أربعة مستويات تعبر عن بعدين أساسيين هما :

(أ) البعد الشخصى :

ويمثله المستوى الأول والثانى حيث الحاجات النفسية الأساسية ، والنظام الذاتى من المعتقدات الخاصة بالذات وبالآخرين .

(ب) البعد الاجتماعى :

ويتمثل فى المستوى الثالث حيث الثقافة الاجتماعية من قيم وأدوار ومعتقدات ، كما يتمثل أيضا فى العوامل الموقفية والخبرية التى تتفاعل والبعد الشخصى .

ونتاجا لهذين البعدين المتمثلين فى المستويات الثلاث الأولى ، يكون النشاط السياسى الذى يعبر عنه بالمستوى الرابع ، والذى يعد فى حقيقة أمره محصلة التفاعل بين المستويات الثلاثة السابقة .

الشكل رقم (٢) يوضح النموذج التصورى لكنستون عن السلوك السياسى

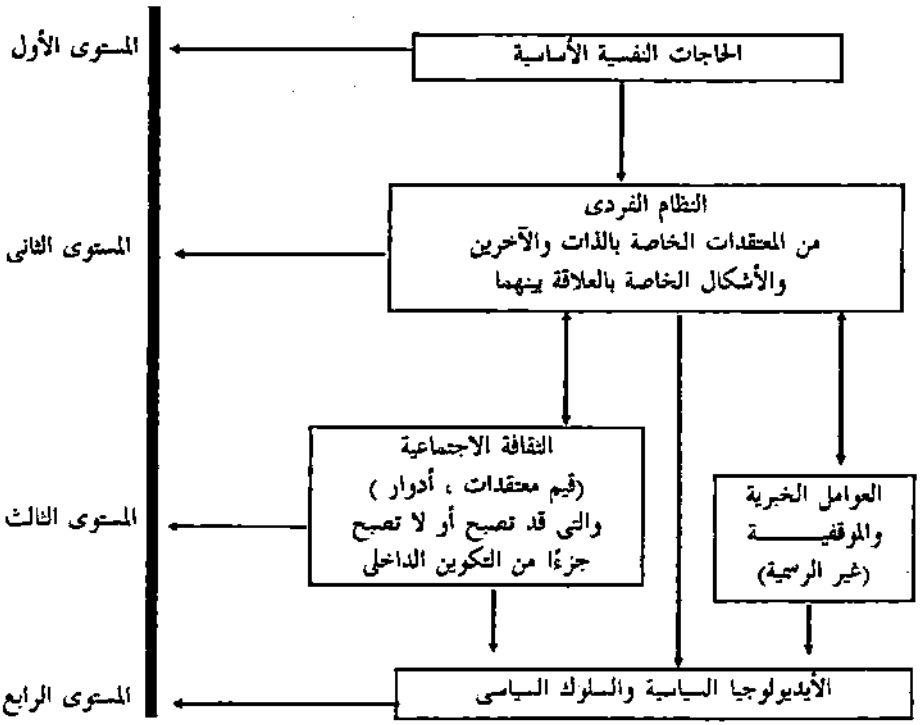

ويشير لنا كنستون إلى أن هناك دائما اتساقا بين المستويات الثلاثة الأولى وبين المستوى الرابع الذى يمثل نتاج التفاعل حتى وأن بدا على السطح ما يشير إلى عدم الاتساق أوعدم التناغم، غير أنه على المستوى الأعمق والأكثر تشبعا بالمعنى، فإن الشخص يحمل أيديولوجية سياسية متسقة.

فحين يعلن أن المستجيب لا يحمل فكرا متسقا إزاء مجموعة من القضايا فإن المتخصص في الشخصية يمكنه الكشف عن عدم الاتساق حين يبحث عن المعنى السيكلوجي للاتجاهات لدى الفرد ، فهو وحده الذى يستطيع أن يفسر لنا سلوك سياسى نشط، يعلن عن تأييده لحقوق جماعات الأقلية، وللمواطن الذى يمقت إهدار الإنسانية فى فيتنام، لكنه فى الآن نفسه يدعم ويؤيد كراهية قائده المعلنة والمستمرة ضد هذا الجزء من العالم (فيتنام).

إذن نعود فنتساءل ، هل يمكن لمعرفتنا بالحاجات غير المشبعة لدى الفرد أن تفى بتفسير هذا السلوك ؟ .

لاشك أننا – إلى جانب معرفتنا بالحاجات غير المشبعة – فى حاجة إلى الاستعانة بالأبعاد الأخرى (الشخصية والاجتماعية) للوصول إلى تفسير أكثر إقناعا وشمولية .

بل يذهب كنستون إلى أبعد من هذا حين يشير إلى أن الأفراد غير المشبعين نفسيا قد يسيئون توظيف أداء الأدوار فى ضوء أهداف الفرد السياسية الخاصة ، ويستشهد كنستون فى هذا الصدد بمجموعة الدراسات التى أشارت إلى أهمية الكفاءة النفسية Psychological Efficacy ودورها الوظيفى الهام فى النظام السياسى كدراسات أريكسون عن القائد مارتن لوثر، وودرو ويلسون، وأبراهام لنيكولن، ثم دراسات شخصية ستالين، وهتلر والتى كشفت جميعها عن أن الاستجابات المرضية الشديدة قد تكون أداة للوصول لمكانة لها أهميتها فى مجال السياسة (Knuston , J. 1973, P. 50) فضلا عن قيامه – كنستون – بدراسة ميدانية على عينة غير عشوائية قوامها ٤٩٥ من المواطنين العاديين خلص منها إلى وجود ارتباط بين إشباع الحاجات النفسية وبين للمشاركة السياسية كما يوضحها الجدول التالى :

الجدول رقم (١)

الذى يوضح العلاقة بين الحاجات النفسية وبين المشاركة السياسية

الحاجات النفسية	المشاركة السياسية المخفضة	المشاركة السياسية المتوسطة	المشاركة السياسية المرتفعة
١ – المحرومين نفسيا	٣٦,٦	٣٧,٤	٢٦,٠
٢– انخفاض تحقيق الذات	٣٣,٣	٤٠,٨	٢٥,٨
٣ – ارتفاع تحقيق الذات	٢٣,٥	٣٢,٣	٤٤,١

ورغم أن الارتباط (٠,١٤) كان دالا إلا أنه لم يكن كافيا بالقدر الذى يؤكد ارتباط إشباع الحاجات النفسية بممارسة السلوك السياسى ويمنع عكس ذلك .

ويفسر كنستون هذا الارتباط المنخفض بأن الحاجات النفسية غير المشبعة ليست حاجزا تاما أمام المشاركة السياسية ، لكن أثرها يتضح أثناء الممارسة للمواقف التى تواجه هؤلاء – غير المشبعين – فتعمل هذه الحاجات النفسية غير المشبعة لديهم على عدم السماح لهم بالوصول إلى أهداف سياسية ذات قيمة ، إذ يتشكل سلوكهم بفعل الحاجات اللاشعورية أو القبشعورية أكثر من تشكلة بمقاييس موضوعية فى متناول الشعور (Knuston , 1973 , P . 50) .

ويسوق لنا لانجر Langer مثلا على هذا بتحليله لشخصية هتلر ، فيقول عنه أنه لم يكن يفكر فى الأشياء تفكيرا منطقيا متسقا يقتضى منه أن يجمع المعلومات المتصلة بالمشكلة محاولا رسم خريطة لكل الأفعال المتصلة بها ، ثم يوازن النتائج قبل كل فعل وبعده قبل الوصول إلى قرار ، لكنه بدلا من ذلك ، كانت قواه العقلية تعمل فى الاتجاه المضاد ، فبدلا من دراسة المشكلة ، كان يتجنب أن يشغل نفسه بالمشكلة ، بل ينشغل بأشياء أخرى حتى تمهد له العمليات اللاشعورية وتمده بالحل ، فإذا ما عثر على الحل ، يبدأ فى إثبات صحته ويقدمه فى صورة منطقية ، ومن ثم فإن عمليات تفكيره تقدمت من الجانب الإنفعالى إلى الواقعى وليس العكس ، ولهذا يصبح من الصعب التنبوء بسلوك أمثاله وأفعالهم المستقبلية ، فهو يعتمد على عالمه الداخلى وتوجهه الداخلى الذى يعوق عملية التنبوء من ناحية ، كما يسهم فى عملية الجمود من ناحية أخرى ، والنتيجة هى أنه لا يستطيع أن يشكل توجهه حسب الواقع (Knuston , 1973 . P . 51) .

أما باربر Narber 1972 فقد كانت دراسته على تحليل الشخصيات الرئاسية مثالا للكشف عن تفاعل الأبعاد المختلفة – الشخصية والاجتماعية – فى تشكيل السلوك فقد صنف باربر الشخصيات الرئاسية إلى نوعين :

١ – الرئيس النشط (الفعال) Active

٢ – الرئيس الإيجابى Positive

على أن يمثل كل نوع منهما متصلا بمثل طرفاه الموجب والسالب للنوع الواحد ومن ثم فإن باربر يخلص بنا إلى أربع أنواع من الشخصيات الرئاسية يمكننا التعبير عنها فى تصورنا بالشكل التالى :

الشكل رقم (٣) يعبر عن تصنيف باربر للشخصيات الرئاسية

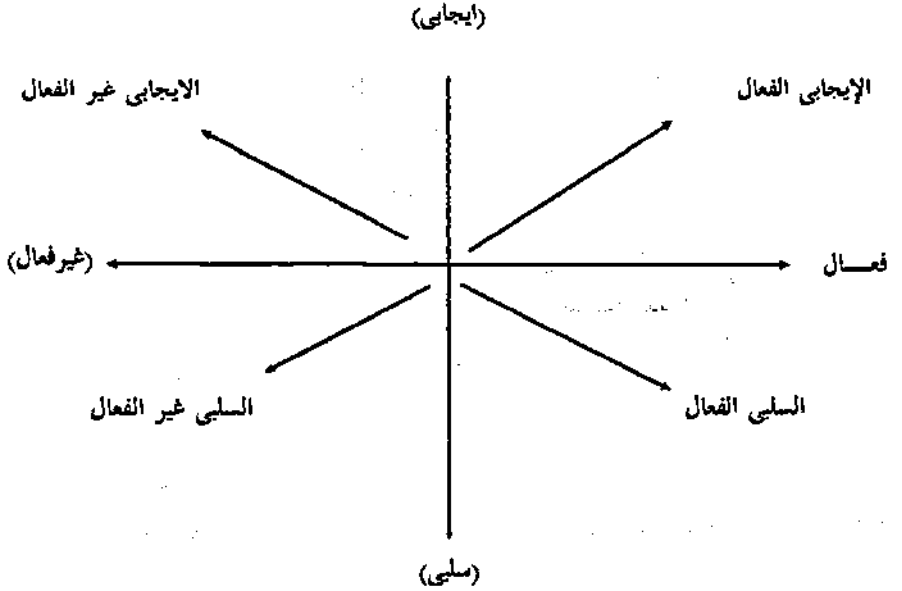

ومن ثم يقدم لنا تصور باربر أربعة أنماط من الشخصيات الرئاسية هى :

١ – النمط الإيجابى النشط Positive- active

٢ – النمط الإيجابى غير النشط Positive-Passive

٣ – السلبى النشط negative-active

٤ – السلبى غير النشط negative-passive

لكن هذا التصنيف كان عاما حيث أنه يترك انطباعا لدى القارئ بأن مستوى الطاقة النفسية للفرد والتوجه المؤثر ليس من التحديد بحيث يمكن الحكم على الأداء المستقبلى للشخصية فى مواقف محددة ، فحسب تصنيف باربر نجد أنه جمع بين شخصيات تتميز بالإنسانية والمثالية والحساسية الاجتماعية وبين شخصيات أخرى تتميز بالبرجماتية والتوجه بالقوة فى فئة واحدة وهى فئة السلبى النشط ، ويعلق كنستون على ذلك بقوله إن التعرف على مستوى حاجات الفرد الأساسية وإشباعه لها هو أساس لتحديد الحاجات التى يسعى لإشباعها ، فقد أظهرت نتائج باربر أنه رغم الجمع بين شخصيات ويلسون وجونسون

ونيكسون وهوفر فى فئة السلبى النشط ، إلا أن الشخصيات الثلاث الأولى كان دافعها الحاجة إلى التعبير عن العدوان والحصول على تقدير أعلى للذات ، بينما الشخصية الرابعة كانت تفتقر إلى هذه الدوافع وتحركها دوافع الحب والانتماء (Knuston, J. 1973. P . 48).

وخلاصة هذا أن تأثير الشخصية على السلوك السياسى ليس بالأمر الواضح أو البسيط ، ومن ثم يصبح لزاما على الباحث بعد دراسة الحاجات الأساسية للفرد ، أن يحاول الفهم فى ضوء تعدد المداخل الأخرى، كالقيم الشخصية، والمؤثرات السياسية والاجتماعية مثلا.

وفى رؤية كلية لهذا الاتجاه متعدد الأبعاد فى تفسير السلوك السياسى بدءًا بكنستون ومرورًا بلانجر وانتهاء ببابر ، فإن هذه الآراء تطرح متغيرات أخرى فضلا عن متغيرات الحاجات النفسية غير المشبعة ، لابد من اعتبارها حين تفسير السلوك السياسى كالكفاءة النفسية ، والمحددات الموقفية التى أشار إليها كنستون ، ثم الدوافع النفسية – كالعدوان والقوة والحب والانتماء – التى أشار إليها باربر حين تقديمة لأنماط الشخصيات الرئاسية التى قام بدراستها .

فالسلوك السياسى مجال يزخر بالعديد من النقاط البحثية التى تنشد اهتمام المتخصصين فى علم النفس السياسى ، وتمثل نقاط انطلاق تدعم فى تناولها وترسخ هذا التخصص الحديث جدا ، كما تزيد السلوك السياسى وضوحا وتميط لثام الغموض عن ظواهره ، ولعل فى تناولنا لكل من المشاركة السياسية ، والتنشئة السياسية فى الفصول التالية ما قد يعين على تكوين رؤية أكثر تفصيلا للمحاور التى يشتمل عليها السلوك السياسى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فهو بالأمر الذى يحتمه الانتقال من العام إلى الخاص، أو من النظرة الكلية الشاملة ، إلى الفحص الجزئى المدقق الذى يستمد معناه من الإطار الكلى، كما يضيف بدوره إلى مسلماته عن السلوك السياسى والبناء النفسى الاجتماعى للفرد .